قاتل اخيه

Le Fratricide.

ما اجهز على المجتمع العراقي من قبل إلّا اهمال التربية الصالحة ، واطلاق الوحشية عليه من كل جوانبه ؛ وما آخاه الشقاء إلّا لتقاعس حكامه وزعمائه عن انعاشه من كبوته ، وتمهيد السبل المأمونة المستقيمة له على انهم هم المسؤولون عن ذلك لاستيلائهم على خلاقه من المال والثمرات . وكان اذا استأداهم حقه من الاصلاح الذي ابتاعه منهم بماله وثمراته كانت حال جوابهم منطبقة على المثل المشهور القائل : (الاخذ سريط والقضاء ضريط) .

فلذلك صار العراق بيئة للجرائم وبؤرة تتقد فيها الاضطرابات ويضطرم فيها الجهل ، ووطيسا يقذف شرار الهمجية وحممها .

شب (ي . ن) في ذلك العهد المشؤوم في ناحية من لواء ديالى كثيرة الجداول والخمائل خصيبة الارض وافرة النعم . في اسرة مشتملة على رجال ونساء عدة واطفال أقلاء . ولقد كانت هذه الاسرة معتمدة على زراعتها وانعامها في اعداد معيشتها واعتاد حاجها ولكن العيش لم يتسع لها ولا رأت منتدحا عن حالها الاولى مع كدح رجالها ودأبهم في اعمالهم .

وكان موطن الشاب المذكور (ي . ن) مكتظا بالزعارة او شراسة الخلق والاجرام . واكثر عشرائه أشرارا وأغمارا وشطارا فلا غرو ان يكون عنفوان شبابه معفرا بالجهالة والسفالة والشرة وكان والداه في ابان ذلك الشباب المضطرب حيين وله منهما ثلاث اخوات اثنتان متبعلتان والاخرى عانس واخ كبير اسمه (ع . ن) كان يؤدبه كلما جنف عن الصلاح وينقذه اذا وقع في امر عصيب .

ولقد كانت المودة مستحكمة بين هذين الاخوين استحكاما تاما . فالصغير يحترم الكبير وينقاد له انقيادا عظيما . والكبير يعز الصغير ويعطف عليه عطفا اخويا ويعوده الشجاعة ومكابدة المشاق ويحميه من كل اعتداء او تحامل من الناس . والويل والثبور لمن كان يمس اخاه الصغير بضر ؛ فانه يكون

من النادمين المتكوبين بل ويح الذي يماس (ع . ن) نفسه مماسة فيها خشونة فانه يعرض نفسه لرجل كالصاعقة في انقضاضه وكالليث في غضبه وكالمستبسل المستميت في كفاحه . ولكثرة تخوف الناس اياه وتحاشيهم عن بأسه زاد سطوة وهيمنة ، وشهرة حتى سموه (غضب الله) .

اما الاسرة فانها كانت قانعة بعيشها مطمئنة في افكارها هادئة في حياتها وكان ذانك الاخوان همامين دائبين في زراعتهما راضيين بعيشة الاجتهاد والكدح ؛ بل قدوة حسنة للذين يعملون عملهما وينافسونهما . وما احلى الاشتغال بحرية بين المزارع والبساتين والجداول والخمائل بقلوب متعاضدة مؤتلفة واجسام نشيطة وهمم عالية ونفوس مطمئنة .

والذي يقرأ صحيفة حياة الاسرة المذكورة يجد عنوانها (السعادة) وشرح السعادة غني عن التفسير (ورب موضوع فسره عنوانه) . ولما توفيت والدتهم التي كانت حنونا عليهم وقطبا لتحابهم وتعاونهم وائتلافهم أمسوا بعدها مستعدين للشر معدين له (قرع الظنابيب) ما خلا اباهم فانه كان عاقلا وديعا لكنه لم يعرف كيف ينهج مهيع التأديب والتهذيب . لذلك لم يقدر على إرواء اولاده من مورد الادب الكامل والتربية الصالحة فانهم كانوا عطاشا بل هيما لامتعطشين .

بينما كان الاخ الكبير (ع . ن) يرقص ابنه ذات يوم اذ نشب في البيت شجار او حوار ثم مشاحنة دفعته الى سب والدته المتوفاة أمام اخيه الشاب فامتلأ هذا غيظا وحنقا عليه وقال له :

ويلك ياهذا كيف استبحت سب والدتنا التقية البارة ومعاملتنا بغلظة وفظاظة؟

اجابه :

أسبها ولا ابالي ومن انت يا ايها النذل الرذل حتى تقابلني بهذا الاعتراض والامتعاض؟

ثم هجم عليه ليضربه فراغ عنه هذا وصعد الى سطح منزلهم هلما حنقا ثم تجاوزه وانحدر الى بيت اخته (ع . ه) المتبعلة وكان قريبا فتناول بندقية كان يعرف مناطها ثم غذ أو أسرع الى سطح منزلهم ايضا متوعدا اخاه متهددا اياه بقوله :

أأنت تريد أن تضربني . اغرب عني يالئيم يارعديد وإلّا رشقتك بقذيفة تعلمك

الحياة فتسكنك القبور .

قال الكبير : من هو اللئيم والرعديد ياجبان . قف لي ان كنت صادقا فسوف أريك الحقيقة . واندفع نحوه صاعدا الى السطح ليفتك به ولكن (ي . ن) هرب من بين يديه بجأش مضطرب واندعار شديد . فقد كان لايطيق الوقوف امام اخيه الكبير وقوف المخاصم بل المناضل فضلا عن ان عمره لم يتجاوز الثامنة عشرة .

لتلك الاسباب نمت بينهما العداوة وأثمرت وبالا وشقاء . فان عنوان حياة الاسرة قد تبدل بعنوان (الشقاء) وحملت القلوب أحمال الاحن والضغائن وأمست تنوء بها مهتبلة فرصة تتبدد فيها ويكون ذلك التبدد فاروقا وفيصلا . يفرق او يفصل بين هذين الاخوين بالعاقبة الوخيمة والمغبة السقيمة . والذي زاد الشنئان أضعافا مضاعفة هو ان أختهما الكبيرة (ع . ه) وزوجها (ح . ن) كانا يشنئان ذلك الاخ الكبير لكونه شديدا في معاملتهما مفتئتا بحريتهما . مضت على تلك المشادة ايام وهنالك من يضرم سعير العداوة بين الاخوين إضراما مستمرا والذين لايضرمون غافلون عن تدارك الخطر القريب الوقوع . اما (ي . ن) فأنه هجر اهله وانقطع الى الاقرباء والبساتين بيد أنه كان يختلف الى بيت اخته (ع . ه) فيستفهمها أخبار أخيه ونيته نحوه فلا يسمع منها إلا ما يقلقه ويهوله . يعينها في ذلك (حليلها) فقد كانا يقولان له : « إن أخاك متسلح بندقية يبحث عنك في مآويك ويسأل عنك الناس فلئن ألفاك ليقتلنك فاحذره » .

دخل أخوه مرة عليه وهو في بيت أخته المذكورة فأخفته في حجرة فيها بندقية حتى إذا أراد به أخوه شرا دافع عن نفسه . ولكن (ع . ن) لما سألها عن أخيها الصغير أنكرت وجوده عندها لامر في نفسها هو أن تعظم الخلاف بينهما فلا يتفقا بعد أن افترقا . ولو أخبرته بوجوده فلربما صالحه وهادنه .

اما الاخ الصغير فانه عزم عزما صادقا على اغتيال اخيه لينجو من شره الذي صوره له النمامون وظل يهتبل الفرص للفتك به حتى مر به مغربا وهو كلمن له ممسك بندقية فوجهها نحوه وجر زندها فثارت واصابت قذيفتها بطن اخيه

فمزقت احشاءه كل تمزيق . وخر على الارض صريعـــا . ولقد سمعت انه استجوب عن قاتله فغلبته الشفقة الاخوية ولم يقر بانه أخوه (ي . ن) ثم فارق الحياة بعد ساعات فما اعظم رأفته بأخيه فقد دعته الى الانكار :

أخوه قاتله عمدا ورأفتـــه ... به دعته الى الانكار والصبر

وانه صار قربانـا لرأفتـــه ... أكرم بمن أخ في اليسر والعسر

ثم هرب القاتل المجرم الاثيم كالكلب المكلوب ممثلا للناس عاقبة التربية الطالحة ونتيجة الجهل ومغبة إهمال التأديب وغاية التحريض والنميمة . اما المبتلى فهو المجتمع البائس الذي لايبل من مرضه إلّا بابلال أفراده .

سمعت الحكومة بالحادثة فطاردت مرتكب ذلك الجرم العظيم وأمسكته ودحته الى غيابة السجن لمدة اثنتي عشرة سنة ابتداؤها سنة (١٣١٦) مالية فقضى هذا الشرير قسما منها ثم نجا بالعفو العام . وهو الان حي يرزق ذميم الوجه (كالحريري) أعمش العينين أرمصهما خبيث النفس ولكن الدهر خفف من زعارته وشر تهوقد قيل : (نعم المؤدب الدهر) وإن لهذا المجرم جرائم عدة وقد سئل مرة عما دفعه الى اغتيال اخيه فأجاب :

لاتثيروا أشجاني ولا تنبشوا أحزاني انه كان شفيقا علي رؤوفا بي مواسيا وحاميا لي فما اعظم اساءتي اليه وواحر كبداه عليه . آه لقـد حرضني عليه الظالمون النمامون من الغرباء وذوي القربى وسرت خباطا في ضلال مبين . (ذلك غدره وهذا عذره) أيد الله المصلحين المرشدين الذين سدكوا بتضميد جروح المجتمع وبث العرفان فيه وأغرموا بمداواة أمراضه ففي ذلك الاجر العظيم .

الكاظمية قرب بغداد : مصطفى جواد

الجزءان الحادي عشر والثاني عشر

يسألنا كثيرون من داخل العراق وخارجه عن صدور الجزءين المزدوجين الحادي عشر والثاني عشر فنقول لهم انهما لم يطبعا الى الان لموانع حالت دون امنيتنا ولعلهما لا يطبعان إلّا بعد اربعة اشهر اي الى ان يتفق لجزء الشهر الواحد ان يصدر في اول يوم منه لانه الى الان لم يتسهل لنا ذلك . لكن على كل حال لابد من صدور الجزءين معا . وكل آت قريب .